مجلة دراسات إفريقية بالجزائر ISSN: 2437-1041
مجلد: 3 عدد: 7 ماي 2019 EISSN:2600 6626

" مملكة مالي في عهد الملك منسى موسى(1312-1337م) "

طالب الدكتوراه: عـــابد سفـــيان

تخصص إفريقيا جنوب الصحراء

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على شخصية تاريخية امتازت بالثراء وعظمة الشأن، ولا سيما أنها خلفت دهشة وفضول حول حجم ثروته وأسلوب حياته، وكذا دوره الإجتماعي والسياسي في مملكة مالي ، بحيث توفرت حول هذه الشخصية العديد من المصادر والمعلومات، التي اكتفت بسرد وقائع مختصرة ومقتضبة، تاركةً الكثير من التساؤلات والتخيلات، التي تجول في عقولنا حول عاداته وتقاليده، وذلك هو منسى موسى (1280-1337) الذي يعتبر واحد من أشهر زعماء إفريقيا والإسلام في القرون الوسطى وأحد أعظم زعماء امبراطورية مالي، فعلى الرغم من مكانته المرموقة والبارزة عسكريًا واجتماعيًا، إلا أن ما يجعله محور الحديث عنه كونه أغنى رجل في تاريخ البشرية ورحلته إلى الحج الشهيرة، فهو يُعد أول الملوك الذين نجحوا في لفت أنظار العالم القديم إلى هذه المنطقة من غرب إفريقيا عامة ومملكة مالي بصفة خاصة .

الكلمات المفتاحية:

مملكة مالي، الملك منسى موسى، رحلة الحج، السودان الغربي .

مقدمة:

ذاع صيت دولة مالي ونشاطها في عهد الملك منسى موسى، وذلك بعد أداء فريضة الحج ، فقد اهتم الملك في دعم العلاقات الخارجية وتنميتها، فهو يعتبر أول من حطم الستار الحديدي، وهو حاجز اللون حتى وصف هذا السلطان بأنه " صديق البيض".

شُهرة منسى موسى وموكب حجه الذي أبهر أوروبا، كان حافزا قويا لدفعها على التفكير في معرفة أسرار ومكنونات إفريقيا والوصول إلى حيث ثرواتها ومناجم الذهب فيها، بحيث اتسعت صلات مالي في عهده بربط علاقات خارجية، فقد شملت هذه العلاقات اتجاهات متعددة، كان أهمها التواصل الثقافي، فقد كان لطلاب مالي رواق عظيم في الأزهر عرف برواق التكارة، فتطورت علاقتها مع مصر في عهد السلطان الناصر محمد قلاوون، ولهذا فقد كان الملك منسى موسى ملمًا باللغة العربية محبًا للعلم فاهتم بالتعليم الإسلامي، وبنى العديد من المساجد والمكتبات خاصة تمبكتو وجامع سنكوري، فأضحت مالي في عداد الممالك المتقدمة وقتها، من حيث تنظيمها السياسي والاقتصادي و قوة الجيش واتساع المساحة، إضافة على استحواذها على أهم الموارد الاقتصادية من الذهب والنحاس والملح، فضلا عن سيطرتها على الطرق التجارية الرئيسية .

قيام مملكة مالي:

تـرك تفكـك دولـة غانـا[1] الوثنيـة عـام 469هـ/1076م علـى أيـدي المـرابطين فراغـا سياسـيا فـي المنطقـة، الأمـر الـذي دفـع الأقـاليم الإفريقيـة المنضـوية تحـت لـواء غانـا إلـى تكـوين كيانـات مسـتقلة، ونـتج عـن صـراعها مـن أجـل السـلطة أن آل الأمـر أخيـرا إلـى قبائـل المانـدينجو[2] التـي يرجـع لهـا الفضـل فـي إنشـاء مملكـة مـالي الإسلامية[3].

إن المتتبـع لتـاريخ مملكـة مـالي يجـد أنهـا كانـت تـدين بولائهـا لغانـا، وبمـرور الـزمن كـان لابـد مـن بـديل يخلـف هـذه الأخيـرة-غانـا- مـن النـاحيتين الاقتصـادية والسياسـية، وتكـون لـه السـيطرة علـى الطـرق التجاريـة المؤديـة إلـى منـاجم الـذهب الموجـودة بـين نهـري السـنغال والنيجـر، وكـان البـديل قبائـل الصوصـو الواقعـة إلـى الجنـوب مـن غانـا، ومـن أشـهر ملوكهـا، سـومانكرو[4]، الذي حكم بين (1200-1235م).

لكـن مملكـة الصوصـو[5] لـم تعمـر كثيـرا ، فقـد قـاد الملـك سـندياتا كيتـا[6] قبائـل المانـدنجو إلـى النصـر، فـي معركـة كيرينـا[7] عـام (633هـ-1235م) ، وأتـاح هـذا النصـر السـيطرة علـى جـل الأجـزاء التـي كانـت ضـمن نطـاق دولـة غانـا، وأقـاموا دولـتهم الجديـدة التـي عرفـت فـي التـاريخ بمملكـة مـالي الإسـلامية، وذلـك عـام 638هـ/1240م[8].

وعليـه، فقـد بسـطت مملكـة مـالي نفوذهـا علـى مملكـة غانـا ، وكـان لهـا الـدور البـارز فـي نشـر الإسـلام بغربـي إفريقيـا، ومـن خـلال هـذه المسـاحة الشاسـعة فرضـت

مـالي سـيطرتها علـى جـل القبائـل والممالـك الإفريقيـة الموجـودة فـي تلـك المنطقـة، فأضـحت تـتحكم بأراضـي زراعيـة ومنـاطق غنيـة بـالموارد الطبيعيـة بمـا فـي ذلـك الـذهب كما أصبحت مركزا مهما للتجارة.

- **مملكة مالي في عهد منسى موسى (1312-1337):**

بعـد أبـو بكـر الثـاني تقلـد منسـى موسـى الحكـم الـذي اكتسـب شـهرة عظيمـة لاتصـاله بالعـالم الخـارجي، وبتوطيـد أركـان حكمـه فـي السـودان الغربـي وذلك للثراء والرخاء اللذين تمتعت بهما دولته[9].

ففـي عهـده أصـبحت مـالي إمبراطوريـة قويـة واسـعة الاتسـاع مترامية الأطـراف تمتـد مـن غـاو فـي الشـرق إلـى المحـيط الأطلسـي فـي الغـرب مـرورا بمـدينتي تمبكتـو[10] وجنـي[11] ومنطقـة فوتـا جـالون، وفـي الشـمال امتـدت مـالي داخـل الصـحراء مسـتولية علـى منـاجم الملـح والنحـاس فيهـا وصـولا حتـى مدينـة ولاتـه[12]، أمـا فـي الجنوب فلامست مالي حدود نيجيريا .

اختلـف كثيـر مـن المـؤرخين حـول تـاريخ تـولي الملـك منسـى موسـى أمـر الـبلاد، ولكـن أقـربهم هـي التـي تقـول: إنـه بـدأ فـي تسـير الحكـم مـا بـين عـامي 707-733هـ/1312-1337م)[13]. وقـد ذكـرت المصـادر عـدة أسـماء للسـلطان منسـى موسـى ، فمـنهم مـن أطلـق عليـه باسـم " **كانكـان موسـى** "[14] وكانكـان هـو اسـم والدتـه لأنه يجوز للولد عند قبيلة الماندينغ أن يحمل اسم أمه إذا كانت من أصل نبيل[15].

و فـي المقابـل مـن ذلـك، اتفـق كـل مـن ابـن كثيـر ، وابـن خلـدون، والقلقشـندي، فـي أصـل تسـميته، فيسـمونه " **منسـى موسـى ابـن أبـي بكـر** "[16]، أمـا كتـاب مـرآة

الجنان وعبر اليقظان، فقد أضاف ذلك أنه موسى بن أبي بكر بن أبي الأسود[17]،غير أن صاحب كتاب" بدائع الزهور" أعطاه لقبا جديدا هو موسى بن أبي سالم التكروري[18]، نسبة إلى إقليم التكرور .

وعند توليه الحكم فقد أورد منسى موسى لدى سؤال من سلطان مصر محمد بن قلاوون حول توارث الملك:" ....**نحن أهل بيت نتوارث الملك**"[19].

أما عن تاريخ وفاته، فإننا نميل إلى ما ذهب إليه ابن خلدون الذي حدد فترة حكمه بخمس وعشرين سنة، وابن خلدون أقرب إلى فترة منسى موسى من غيره، وهذا يؤكد الرأي الذي يحدد وفاته بعام 1337م[20].

- **الجانب السياسي للملك منسى موسى:**

بعد أن تولى منسى موسى أمور وشؤون المملكة ، واجه تحديات كبيرة فقد كان يسود البلاد من اضطرابات وفتن كبيرة وخطيرة ، وذلك بعد مقتل ملكها القوي ساكورة عام (700هـ/1300م)، ولم يستطع خلفاء ساكورة الضعفاء السير بها فخلق نوع من الفوضى وتدهور في الاقتصاد، وكساد التجارة وتمرد بعض أمراء المقاطعات[21].

فوقع العبء كله على منسى موسى، الذي تمكن من الحفاظ على النظام والأمن حتى وصل بالبلاد إلى درجة عالية من الرفاهية والازدهار، ففي عهده دخل الإسلام البلاط الملكي وأصبح دين الدولة الرسمي، فصيغت البلاد منذ ذلك الحين بالطابع الإسلامي، و أضحت مالي جزءا لا يتجزأ من العالم الإسلامي، فبأخلاقه وورعه أكسبه حب الرعية ، وتفانيهم في طاعته واحترامهم له[22].

وعلى هذا الأساس، أقام علاقات مع مصر والمغرب وفتح بلاده للمسلمين الفارين من الأندلس[23]، وفي عهده اتجهت عناية مالي لنشر الإسلام حتى غمر أكثر بلاد نيجيريا، كما بلغت شهرة مالي من الأندلس حتى خرسان وظهر اسم منسى موسى على الخرائط الأوروبية التي صدرت في القرن الرابع عشر الميلادي[24].

والجدير بالذكر أن الملك منسى موسى كان ملمًا باللغة العربية محبًا للعلم فاهتم بالتعليم الإسلامي وبنى العديد من المساجد والمدارس والمكتبات الإسلامية ، وخاصة في تمبكتو حيث أنشأ جامعة "سنكوري"[25] وأرسل طلابا لتلقي العلوم الإسلامية في فاس والقاهرة على نفقته، وكان المتعلمون يعودون ليحتلوا مراكز القيادة في بلادهم ليصبحوا أئمة وقضاة ومعلمين في المدارس والمساجد في كل من العاصمة نياني ومدن تمبكتو وغاو وجني، التي غدت مدنا ثقافية هامة.

أما علاقته مع الوثنيين فتميزت بالعنف والتوتر الذين كان ينتهيان دائما بالحروب التي كان يشنها منسى موسى لنشر الإسلام.

- **على الصعيد الاقتصادي:**

شجع منسى موسى التجارة التي ازدهرت في عهده، نظرا لتفشي الأمن في طرق القوافل التجارية ، وكان البربر والطوارق يتولون عمليات نقل البضائع والقوافل التي يبلغ تعدادها عام 1350م إثني عشر ألف جمل ، تحمل جوز الكولا والعاج والملح والذهب [26].

وفي هذا السياق ، ورغم توفر مادة الذهب بكثرة وتدفقه إلى خزينة البلاد إلا أن أحد مؤرخي تمبكتو وهو السعدي أحد أبنائها يشهد بأن ملوكها لا تمس أيديهم

ذلك المعدن أبدا، وكان يطلق عليهم ملوك الذهب وعلى أرضهم أرض الذهب حتى قيل أنه يزرع على الشاطئ نهر النيجر ثم يجنيه الناس كالثمار في حين أنه كانت تصنع منه أغماد السيوف كما تصنع منه عصائب رؤوس النساء زوجاتهم مزينة بالذهب .

وبالرغم من توتر العلاقة مع الجنوب الوثني إلا أن التجارة كانت نشطة معه ووصلت إلى مستوى الوفود والسفارات بل إن بعض الوثنيين كانوا يقيمون في مملكة مالي يمتهنون التجارة ويعيشون في وئام مع المسلمين كما أقام المسلمون من قبيلة الماندينغ مستعمرات تجارية اسلامية داخل المناطق الوثنية وكان لهؤلاء المسلمين نفوذ قوي فيها [27].

وبناء على ذلك استطاع السلطان منسى موسى السيطرة على مقاليد الأمور مجتمعة، بأن أخذ زعماء سنغاي الذين يشكلون نوعا من الخطر عليه وعلى ملكه، كرهائن في قصره، وهما : علي كلن، وسلمن نار، وكانت العادة عند ملوك السودان بأن يأخذوا أبناء خصومهم ويربونهم في قصورهم، فمنهم من يرجع بعدة مدة، ومنهم من يبقى في خدمة الملك إلى أن يفارق الحياة، وبذلك يضمن ولاء سنغاي لملكه[28].

وبعد أن وطَد أركان حكمه عزم على الحج، وهذا ما تحدث عنه عدد من المؤرخين مبرزين هذه الرحلة التي تعد من أهم رحلات الحج .

رحلته إلى الحج :

كانت رحلة الحج رحلة مضنية، تتطلب جهوداً كبيرة في سبيل الإعداد والتجهيز لها، وبالرغم من ذلك فقد حرص الأفارقة من ملوك ورعايا على أداء فريضة الحج؛ غير آبهين لما يواجههم في رحلاتهم الحجية التي تستمر لمدة عام تقريباً.

والجدير بالذكر، أن مواكب الحج تأخذ مظهر الوقار والفخامة، وخير مثال لذلك محمل حج منسى موسى الذي كان أول ظهور لمواكب الحج من ناحية الفخامة وحسن التجهيز منذ دخول الإسلام إلى البلاد، ويمثّل أضخم وأعظم صور الحج في أوائل القرن الثامن الهجري/الثالث عشر الميلادي.

أخذ الاستعداد لهذه الرحلة وقتا طويلا، فأحسن تجهيزها لأداء هذه الفريضة، فقام بجمع المال والجهاز للسفر، وخلف ابنه منسى مغا الثاني[29] ليخلفه في حكم البلاد إلى حين عودته.

وعليه، بدأت هذه الرحلة في أواخر عام 723هـ/1324م، واستمرت سبعة أشهر، إلى أن وصل إلى مصر في عام 724هـ/1324م[30]، وكان طريقه إلى مكة عبر الصحراء مارا بولاته وتوات وورقلة[31] وسرت، وأكمل مسيره حتى وصل إلى الإسكندرية باتجاه القاهرة[32].

تضاربت المصادر العربية في تحديد عدد مرافقيه الذين صاحبوه إلى بلاد الحجاز، فحسب المؤرخ ابن فضل الله العمري فإن منسى موسى قد أخذ معه في رحلته إلى الحج كميات هائلة من الذهب تقدر بمائة جمل واصطحب معه زوجته

المفضلة (إناركنت) وخدمها و60.000 شخص من رعاياه بما فيهم الوزراء والقادة والعلماء والاتباع، والكثير من العساكر لحماية القافلة من الغارات وفي مقدمة القافلة سليمان بن يعت، وكان بمثابة دليل للقافة [33] ، وعُرف عنه أنه كان في يوم جمعة يبني مسجدا في المكان الذي تتوقف فيه قافلته[34]. كما أحاط نفسه بمظاهر الترف والأبهة في مصر بما كان يحمله من قطع الذهب الخام[35]، وكان يركب على جواد يسير في مقدمته خمسمائة رقيق، يحمل كل منهم ما يزن خمسمائة مثقال من الذهب [36].

في المقابل من ذلك فهناك من ذهب إلى حد القول: بأن أول رأس قافلته بتمبكت، وهو لازال بداره في مل "[37]، كما أورد أن عدد العبيد وصل ما بين ثمانية إلى تسعة آلاف إلى سبعمائة ألف عبد وحمل أربعين بغلة ذهبا[38]، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى هناك اخذ بالقول إلى ان السلطان منسى موسى كان برفقته أعداد هائلة من رعيته وصل تعدادها إلى ستين ألف رجل وخمسمائة عبد، وبيد كل واحد منهم عصا من الذهب تزن كل عصا خمسمائة مثقال[39].

ويذكر إبن خلدون عن الرحلة وعن كمية الذهب في موضعين مختلفين فقد ذكرة مرة أنها مائة حمل من التبر في كل حمل ثلاثة قناطير من الذهب، وذكر في الموضع الثاني ثمانين حملا من التبر كل حمل ثلاثة قناطير[40].

وعند وصوله لمصر استقبله الأهالي بكلّ مظاهر الحفاوة والتكريم، وأرسل إليه السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون المهمندار[41] لأميره أبا العباس شهاب الدين أحمد بن علي الحاكي، فاستقبل منسى موسى وجميع ركب حجه، وأنزلهم

بقصر القرافة الكبرى في القاهرة، فكان في استقبالهم وضيافتهم والي القرافة والقاهرة الأمير أبو الحسن علي بن أمير حاجب (ت 739هـ / 1338م)، وقد جرت بينهم عدة اجتماعات وأحاديث عن مملكة مالي وأحوالها [42] ، وأحوال شعوب وأمم السودان الأخرى المجاورة لبلاده . وتحدث المهمندار عن كرم منسى موسى، بأنه أفاض على أهل مصر، فقال بشأن ذلك: «ثم قدّم للخزانة السلطانية حملاً من التبر، ولم يترك أميراً ولا ربّ وظيفة وخليفة سلطانية إلا وبعث إليه بالذهب[43]».

وأمام هذه الحفاوة الكبيرة التي وجدها منسى موسى في القاهرة موسى وزع الكثير من الذهب والعطايا خلال إقامته هناك ، مما جعل قيمة هذا المعدن تنخفض في سوق الذهب بمصر، وفي القاهرة صرح منسى موسى بأنه المدافع الأكبر عن الإسلام وأنه يحارب الكفرة الوثنيين في جنوب بلاده.[44]

ولما دخل على السلطان الناصر محمد بن قلاوون (693-741هـ/1293-1341م) ، وطلب منه أن يقبل الأرض في حضرة سلطان مصر المملوكي فرض وأبى وقال: " **أنا مالكي المذهب لا أسجد لغير الله فأعفاه السلطان الناصر من ذلك التقليد وقربه إليه وأكرمه وتحدث معه** "[45]،

اجتمع به وأكرمه، وتوطدت العلاقات بينهما، كما أقطعه الناصر قصر القرافة للإقامة فيه، وقدّم له هدايا كبيرة وقيمة، وأمر أمير الركب بإكرامه واحترامه[46].

كما التقى بعدد كبير من فقهاء المالكية، ودار بينه وبينهم كثير من النقاش في موضوعات ومسائل فقهية، وكان منهم مدرس المالكية في مصر القاضي محمد

بن أحمد بن ثعلب المصري الذي ألف شرحاً لمختصر أبي الحسن الطليطلي (ت 341هـ / 953م) بأمر من منسى موسى [47]، كما التقى بالقاضي شريف الدين أبي الروح عيسى الزواوي (ت 743هـ / 1343م)، وقد عقد معه عدة اجتماعات في قصر القرافة في مصر.

وقد أشاد الكثير من الأمراء بطيبة منسى موسى وحُسن أخلاقه وكرمه وصلاحه بقولهم: «**كان على نمطٍ واحدٍ في العبادة والتوجه إلى الله عزوجل، كأنه بين يديه لكثرة حضوره، وكان هو ومن معه على مثل هذا، مع حسن الزي في الملبس والسكينة والوقار**" [48].

مكث السلطان منسى موسى ووفده ينتظرون موسم الحج، وعندما حان موعده الحج وصلت قافلته إلى الحجاز فأدى منسى موسى فريضة الحج وأفاض على الحجيج وأهل الحرمين الشريفين بالإحسان كما زاروا المدينة المنورة، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، كما تصدق على الحجاج وأهل الحرميين بمال كثير ووافر من التبر قدر بعشرين ألف مثقال من الذهب[49] .

وعند انتهائه من الحج اصطحب معه من مكة أربع أشراف من قريش مع عائلاتهم ليستقروا في مالي، وفي طريق كلفته العودة إلى مصر جهدا كبيرا، " »فقد هلك الكثير من أصحابه وجماله بالبرد؛ حتى لم يصل معه إلى مصر إلا نحو الثلث منهم[50]« كما ساءت أحوال ركب الحجاج، خصوصاً بعد نفاذ أموال منسى موسى بسبب الحادثة التي تعرضت لها قافلته وهو في طريق عودته من الحجاز[51].

مما جعله يبيع القصر الذي منحه إياه السلطان محمد قاوون مما اضطره للاستدانة من أحد التجار المصريين ليحافظ على سمعته، وقد رافقه التاجر المصري إلى مالي ليتقاضى دينه[52]، واشترى العديد من الكتب الإسلامية التي تتناول الحديث عن المذهب المالكي وهو المذهب المنتشر في البلاد.

سلك في عودته طريق القوافل الشرقي الذي يبدأ من مصر ثم برقة ثم طرابلس وغدامس، حتى وصل إلى جاو في عام 725هـ / 1325م [53]، وفي طريق اشترى عدة كتب في الفقه المالكي، والتقى في غدامس بالفقيه أبي عبد الله الكومي الموحدي الغدامسي الذي طور بناء جامعة سنكري.[54]

ومن آثار حجته التقاؤه بالفقيه عبد الرحمن التميمي، حيث عاد برفقته إلى مالي، وسكن في تنبكت مدة قصيرة، ثم تركها ورحل إلى فاس بعد أن وجد أنّ علماء تنبكت على درجة كبيرة من العلم وأكثر تفقهاً في الدين منه، ولكنه عاد بعد ذلك إلى تنبكت واستقر بها بعد أن تبحر في كثير من العلوم وأتم تعليمه[55].

كما التقى في مكة بالشاعر الأندلسي إبراهيم الساحلي الطويجن[56]، وجمعت بينهما صداقة متينة جعلته يترك بلده غرناطة في الأندلس، ويستقر بمالي ، فعاش بقية حياته بها حتى توفي عام 747هـ / 1348م [57]، وكان للطويجن جهد كبير في ازدهار الحركة العمرانية في بلاد إفريقيا، وبهر بلاد مالي ببراعته في الهندسة المعمارية الإسلامية، فبنى قصراً للسلطان منسى موسى[58]، كما نُسب إليه بناء مساجد في كلٍّ من مدينتي تنبكت وجاو بقيت لمدة ثلاثمائة سنة، وكانت أساساتها من الآجر الذي لم يكن قد عُرف بعد في بلاد السودان في تلك الفترة[59]، فكان يأخذ

برأي كل من الفقيه و الساحلي في شؤون المملكة لما كان لهما نفوذ عظيم في البلاط" [60]

ومن الآثار المهمة لحجته أنه أنشأ الكثير من المساجد، «فبعد جوازه إلى الحج وبطريقها رجع فابتنى مسجداً ومحراباً خارج مدينة جاو، صلى فيها الجمعة وهي هناك إلى الآن" [61]

وبعد هذه الرحلة المشهورة لحج السلطان منسى موسى التي تمخض عنها إظهار مآثر طيبة ونتائج عظيمة، فقد ذاع صيت مالي وأخبار موكبه في أوروبا، وقيام علاقات وطيدة مع بلاد العالم الإسلامي ساعدت على أن تظهر مالي بمظهر إسلامي[62]، فَأُصْدِرَتِ الكثير من الخرائط عام 739هـ / 1339م, والتي رسم عليها طريق لأهم المدن في مالي، كما رُسم طريقٌ يمر بجبال أطلس ثم الصحراء الكبرى، وينتهي في مالي, وصورة لمنسا ملك الذهب, وقد رسمها أنجلو دولسرت كما وضع أبراهام كريسك خريطة أخرى لملك فرنسا شارل الخامس ورسم عليها أيضاً دولة مالي[63].

وعليه، يعد منسى موسى من أعظم ملوك مالي، «وكان رجلاً صالحاً، وملكاً عظيماً، له أخبارٌ في العدل تؤثر عنه, وعظمت المملكة في أيامه إلى الغاية, وافتتح الكثير من البلاد[64]»

قال عنه السعدي: «**كان صالحاً عادلاً، لم يكن فيهم مثله في الصلاح والعدل**» [65]

نستنتج من خلال ما سبق أن مملكة مالي اكتسبت في عهد الملك منسى موسى (712-737هـ/1312-1337) شهرة عظيمة، وصلت في عهده إلى قمة مجدها وقوتها، ووصلت إلى أقصى ما وصلت إليه من اتساع، وامتدت حدودها من بلاد التكرور غربا عند شاطئ المحيط الأطلسي .

كما انتعشت التجارة في عهد الملك منسى موسى، وأصبحت أسواق مالي من أهم أسواق السودان الغربي كله، وزاد من أهمية هذه الأسواق انتقال سوق الذهب إليها مما كان سببا في اجتذاب الكثير من التجار من سجلماسة وفزان ومصر أيضا.

أشاد به وبمجده معظم الذين كتبوا عن تاريخ هذه المملكة العظيمة، وعلى رأس هؤلاء الكتاب ، ابن بطوطة، الذي حفلت رحلته إلى السودان الغربي بأخبار هذه المملكة، لأنه زاراها ووقف عليها، ثم إبن خلدون الذي قال عنه انه: " كان رجلا صالحا، وملكا عظيما، له في العدل أخبار تؤثر، وعظمت المملكة في أيامه إلى الغاية، وافتتح الكثير من البلدان".

يعد عصر منسى موسى (712-737/1312-1337م) ، عصر الازدهار للمذهب المالكي في هذه الدولة وكان هذا بفضل جهوده المتعددة والتي قام بها لدعمه، ويرجع هذا إلى أنه كان ورعا محافظا على الصلوات وعلى قراءة القران الكريم، كما يرجع له الفضل في بناء عدد من المساجد في بعض مدن دولته، ومن أشهرها المسجد الجامع بمدينة جاو، والجامع الكبير ، في مدينة تمبكت.

ويـذكر ترمنجهـام (Tromigham) أن منسـى موسـى قـد صـبغ مـالي بصـبغة إسـلامية واضـحة بمـا شـيده بهـا مـن مسـاجد، وبالاحتفـالات البـاهرة فـي المناسـبات الإسلامية المختلفة، وبرعايته للعلم والعلماء.

حـرص منسـى موسـى صـراحة أيضـا علـى لقـاء فقهـاء المالكيـة فـي مصـر، ودعـم الصـلة بينـه وبـين هـؤلاء الفقهـاء، ومـنهم القاضـي المـالكي شـرف الـدين أبـو الـروح عيسـى الـزواوي المتـوفى عـام (743هـ/1347م)، والـذي كانـت لـه اليـد فـي الفقـه المالكي حتى أصبح إمام الفقه في مصر.

الهوامش:

[11]- يقول البكري : " وغانة سمة لملوكهم واسم البلد أوكار و اسم ملكهم اليوم وكان محمود السيرة محبا للعدل مؤثرا للمسلمين" انظر: أبو عبد الله البكري: " **المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب**، مكتبة المثنى، بغداد، ب. ت، ص 174.

[2]- الماندينجو: من أرقى أجناس إفريقيا وقد قيل يهم أنهم من أكثر أجناس إفريقيا رقيا وأكثرهم ذكاء وأجدرهم بالاحترام والتقدير وكانوا أكثر الفئات تحمسا للإسلام ونشره. انظر: الهادي مبروك الدالي: **مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا**، ط1، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2001م، ص 24.

[3]- نفسه، ص 22.

[4]- يطلق عليه كذلك سومانغور، انظر نعيم قداح: **إفريقيا الغربية في ظل الإسلام**، مراجعة: عمر الحكيم، كوناكري، 1960م، ص48.

[5]- الاسرة التي كانت تحكم صوصو في ذلك الوقت فرع من أسرة سركلة تدعى(جرسو)، ففي سنة 576هـ/1180م خلعها من العرش (جوة كنته) من أصل البركلة الذي ينتمي لطائفة الحدادين، وبعد وفاته خلفه (سومانكورو) الذي أدى دورا كبيرا في توسيع رقعة الصوصو فضم (وغدو) التي كانت تابعة ل (كومبي صالح) وتقع على ضفتي نهر النيجر الاعلى. انظر: عبد الرحمان زكي: **تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية في ظل الإسلام**، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، 1964م، ص 86، 87.

[6]- سندياتاكيتا: يرجع إلى ابن ناري فامغان بن ناري فامغان بن موسى كيتا، المعروف بموسى الأكوري، وقد اشتهر سندياتا بلقب ماري جاطة، واعطى ابن خلدون تفسيرا لماري جاطة، فماري بمعنى الأمير، الذي يكون من نسل السلطان، وجاطة الأسد، والكلمتان تعنيان الأمير الأسد انظر: الهادي مبروك الدالي: **التاريخ السياسي والاقتصادي لا فريقيا فيما وراء الصحراء من 15م-18م**، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ، 1999، ص، 52.

[7]- تقع مدينة كيرينا على الضفة اليسرى من النيجر بين باماكو وكانغابا، انظر: ج.ت.نيابي" **مالي والتوسع الثاني للماندينغ**"، تاريخ إفريقيا العام (اليونسكو)، م4 ج.1988، ص 143.

[8]- نعيم قداح: المرجع السابق، ص 49.

[9]- شارل اندريه جوليان: **تاريخ افريقيا**، تر، طلعت عوض أباظة، مراجعة: عبد المنعم ماجد، دار النهضة، القاهرة، 1968م، ص 135.

[10]- تمبكتو: قامت مدينة تمبكتو الاسلامية حول بئر ماء كانت تقف عندها الإبل بالقوافل التجارية، لتروي عطشها وتتزود منها، وتملأ منها قربها، وكانت تقيم عند هذا البئر عجوز تدعى بوكتو، وعرف المكان باسمها. انظر: عمر بن سالم بابكور: **النهضة العلمية والثقافية في مدينة تمبكت الإسلامية في القرن العاشر الهجري السادس الميلادي**، دار الوفاء، الإسكندرية، 2004، ص1.

[11]– جني: تقع جني على مسافة مائتي ميل إلى الجنوب الغربي من تمبكتو على مرحلة من الضفة اليسرى لنهر باني (Bani)أحد روافد النيجر، وإلى الشمال الشرقي من سيجو سكورو، وهي على خط عرض 35-31 شمالا، وخط طول 9 شرقي خط غرينتش، وتقع على مقربة من مدينة موبتي او مبتي (Mopti) في شمالها، وهي اليوم من المدن الرئيسية في جمهورية مالي، وتقدر لمسافة بين جني وتمبكتو في رحلة مدتها اثنا عشر يوما ويقال انها زاخرة بالسكان، وسكانها أكثر عددا من سكلن سيجو (Sego) .انظر: حسين مجدي صالح: **جني من المملكة الوثنية إلى السلطنة الإسلامية (الملمح السياسي)** ، أعمال المؤتمر الدولي الاسلام في إفريقيا 27-26 نوفمبر 2006، مجلة جامعة إفريقيا العالمية، السودان، ص 427-428.

[12]– ولاته : تقع مدينة ولاته إلى الشمال الغربي من مدينة تمبكتو، معنى ولاته الأرض المرتفعة وقد ذكرها حسن الوزان واصفا بانها مملكة صغيرة لا نشاط لها وأن ملكهم يعطي الخراج لملك تمبكتو . انظر: الهادي مبروك الدالي، **مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا**، المرجع السابق، ص 58.

[13]– الهادي مبروك الدالي : **العلاقات بين مملكة مالي الإسلامية واهم المراكز بالشمال الإفريقي**، المرجع السابق، ص 104.

[14] -Lapidus, Ira M. **A History of Islamic Societies**. 3rd ed. New York, NY: Cambridge University Press, 2014. p 455.

[15]– محمد فاضل علي بارين وسعيد إبراهيم كديدة، **المسلمون في غرب افريقيا تاريخ وحضارة**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007،ص 82.

[16]– أبو الفداء الحافظ بن كثير: **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف، بيروت، 1966، ج4،ص 200.، انظر ايضا، ابن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، 1979، ج6، ص 200.

[17]– الهادي مبروك الدالي: **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا**، المرجع السابق، ص، 56.

[18]– محمد بن أبي احمد الحنفي: **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق محمد مصطفى، ط2، القاهرة، 1963، ج1، ص 163.

[19]– صلاح الدين المنجد، **مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين**، ط2، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1982، ص60.

[20]- الهادي مبروك الدالي : **العلاقات بين مملكة مالي الإسلامية واهم المراكز بالشمال الإفريقي**، المرجع السابق، ص 32.

[21]- الهادي مبروك الدالي: **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا**، المرجع السابق، ص،57. انظر ايضا:
Joseph Ki-Zerbo : **Histoire de L Afrique Noire**. Paris, Hatier,1978,p133.

[22]–الهادي مبروك الدالي: **العلاقات بين مملكة مالي الإسلامية واهم المراكز بالشمال الإفريقي**، المرجع السابق، ص 32.

[23]– محمد فاضل علي: المرجع السابق، ص 82.

[24] -Trimingham, J.P, AHistory of Islam In West Africa, London, Oxfoerd university Press, 1962,pp.61.

[25] – جامعة سنكوري: وهو مسجد الجديد بمدينة تمبكت والمعروف باسم سنكري ومعناه عند أهل السودان المسجد الكبير ويقول عنه السعدي أن هذا المسجد بنته سيدة تعرف باسم سنكري وهي سيدة ثرية لكن ليس معروفا تاريخ هذا البناء، بني على طراز المغربي، وأشرف على توسعته أبو اسحاق ابراهيم الساحلي، فكان من أشهر المراكز الثقافية في مدينة تمبكت، تعلم به العديد من العلماء والفقهاء. انظر: مسعودي خالدي: أبو **إسحاق إبراهيم الساحلي الأديب والمهندس المعماري وأثره في نشر فن العمارة الإسلامية في السودان الغربي**، الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، العدد السابع ، جوان 2018، الجزائر، ص 54.

[26]- محمد فاضل علي ، المرجع السابق، ص 82.

[27]- نفسه، ص 83..

[28]- الهادي مبروك الدالي: **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من 15م-18م**، المرجع السابق، ص 59.

[29]-منسى مغا الأول: كان ولي العهد خلال وجود والده في مكة، وبعد وفاة منسى موسى خلفه وتولى امور البلاد من 738-742هـ/1337-1341م، كان ضعيف الشخصية وعديم الخبرة والتبصر وفي عهده حدثت اضطرابات وبدأ الضعف يدب فيها وذلك لكثرة الفتن الداخلية واختلال الأمن وعدم الولاء للسلطان، وانتشل البلاد من الفوضى عمه منسى سليمان الذي عمل على إصلاح ما أفسده، وتشجيع العلم والعلماء. انظر: الهادي مبروك الدالي: **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من 15م-18م**، المرجع السابق، ص63. انظر أيضا: محمد فاضل علي ،المرجع السابق، ص85.

[30]– نبيلة حسن محمد: **في تاريخ إفريقية الإسلامية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1427هـ / 2007م، ص 220.

[31]– ورقلة: مدينة صغيرة تبعد عن برقة عشر مراحل، «متحضرة وفيها قوم ساكنون كثيرو التجارة...»، انظر: الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن إدريس: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 1414هـ / 1994م، ج 1، ص 312.

[32]- عبد الرحمن زكي: المرجع السابق، ص 101؛ شوقي الجمل وآخرون: **تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم**، دار الثقافة، القاهرة، 1416هـ / 1996م، ص 90.

[33]– محمود كعت، **تاريخ الفتاش في اخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، دار هوادس وبنوده، باريس، ص 34-36.

[34]– ابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق: مصطفى أبو ضيف أحمد، من الباب الثامن إلى الباب الرابع عشر (ممالك إفريقيا ما وراء الصحراء وممالك إفريقية وتلمسان وجبال البربر وبر العدوة والأندلس)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1409هـ / 1988م، ص 954-955.

[35]– شوقي الجمل وآخرون: المرجع السابق ، ص 90.

[36]– أمل بنت صالح الشمراني: " الرحلات الإفريقية للحج، مجلة قراءات افريقية، 04-09-2016.
http://www.qiraatafrican.com/home/new/الرحلات-الإفريقية-للحج.

[37]- محمد كعت: المصدر السابق، ص 33.

[38]- نفسه، ص 34،35،36.

[39]- عبد الرحمان السعدي **تاريخ السودان**، هوداس وبنوه، باريس، 1964، ، ص 7، انظر أيضا بوفيل: **" الممالك الإسلامية في غرب افريقيا وأثرها في تجارة الذهب"** تر، زاهر رياض، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1968، ص117.

[40]- ابن خلدون، ج5 ن ص234.

[41]– المهمندار: كلمة فارسية مركبة من لفظين, الأول: مهمن، وتعني الضيف ,والثانية: دار، وتعني الممسك، وعليه استقبال رسل ووفود السلطان وإنزالهم في الدور التي أعدت لاستقبالهم وضيافتهم, (محمد قنديل البقلي: **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة,1403هـ1983 / م, ص334.

[42]– العمري، المصدر السابق، ص 67.

[43]–نفسه, ص 71؛ القلقشندي, **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، القاهرة، المؤسسة الوطنية للتأليف والنشر 1963، ج 5، ص 283.

[44]– محمد فاضل علي : المرجع السابق، ص 84.

[45]– عبد الرحمان السعدي م المصدر السابق، ص 7، القلقشندي: مصدر سابق، ص 295.

[46]– العمري: المصدر السابق، ص 72

[47]– نفسه، ص 74.

[48]– نفسه، ص70.

[49]– السعدي: تاريخ السودان, ص 7.

[50]– المقريزي: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء و الملوك، ت جمال الدين الشيال، لجنة التأليف، القاهرة، 1955، ص 143.

[51]– ابن خلدون, العبر, ج 5, ص 515، يحدثنا ابن خلدون عنها بقوله: «ذلك أنه ضلّ في الطريق عن المحمل والركب، وانفرد بقومه عن العرب وهي كلها مجاهل لهم ,فلم يهتدوا إلى عمران, ولا وقفوا على مورد, وساروا على السمت إلى أن نفذوا عند السويس.... والأعراب تتخطفهم من أطرافهم إلى أن خلصوا.»

[52]– بعث سراج الدين وكيله معه لكي يسترد المال الذي اقترضه منه، وعندما تأخر الوكيل ذهب سراج الدين وابنه إلى منسى موسى ولما وصلا إلى مدينة تمبكتو استضافهما أبو اسحاق الساحلي، فمات سراج الدين فتكلم الناس في ذلك كثيرا فقال لهم إبنه إذا مات أبي مسموما من الأكل فلماذا لم أمت انا ؟؟ وفي الاخير قابل ابن سراج الدين السلطان واخذ ماله انظر: ابو عبد الله محمد بن ابراهم اللواتي بن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، دار صادر، بيروت، ص 694.

[53]– عبد الفتاح مقلد الغنيمي: **حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا**، مكتبة نهضة الشرق, القاهرة, (د – ت), ص 100.

[54]– نعيم قداح، المرجع السابق، ص 54.

[55]– السعدي: تاريخ السودان، ص 51.

[56]- الشاعر الأندلسي إبراهيم الساحلي الطويجن: هو أديب ومهندس معماري من مدينة غرناطة خرج من بلاده أوائل القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي إلى المغرب، فهو من بيت ثروة وصلاح وأمانة كان أبوه أمين العطارين بغرناطة، التقى بمنسى موسى في مكة المكرمة واستوطن مالي مدة زمنية طويلة . انظر: ابن الخطيب: لسان الدين: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، القاهرة، 1973، 1/ص 329 انظر ايضا: : مسعودي خالدي: المرجع السابق، ص 41.

[57]– ابن خلدون: العبر, ج 6, ص 238؛ المقري, أحمد محمد التلمساني: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس, دار صادر, بيروت, 1408هـ / 1988م, ج 2، ص 194.

[58]– قصر السلطان : من اشهر القصور ويسمى قصر (مع دل) بمعنى دار السلطان، تولى الساحلي ببناءه بمدينة تنبكت من الحجر والجبس وزخرفة بالخشب المطعم بالذهب والفضة فجاءت تحفة رائعة. انظر: ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 45.

[59]– عبد الرحمن زكي: المرجع السابق، ص 109.

[60]– محمد فاضل علي : المرجع السابق، ص84.

[61]– السعدي: تاريخ السودان, ص 7.

[62]– محمد فاضل علي: المرجع السابق، ص84.

[63]– فيج. جي. دي: المرجع السابق، ص 57. انظر ايضا: مادهو بانيكار، **الوثنية و الإسلام «تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقية»**، ترجمة: أحمد فؤاد بلبع, المجلس الأعلى للثقافة, القاهرة, ط 2,1418هـ / 1998م, ج 1, ص 215.

[64]- القلقشندي: المصدر السابق، ج 5 ص 283.

[65]– السعدي، المصدر السابق، ص 7.